

الوافي في الوفيات

جيشٌ من التُّرك ترك الحرب عندهم ... عارٌ وراحتهم ضربٌ من الضُّرب .
خاضوا إليها الرّدى والبحر فاشتبه ال ... أمران واختلفا في الحال والسَّبب .
تسنّموها فلم يترك تسنّمهم ... في ذلك الأفق برجاً غير منقلب .
تسلّموها فلم تخل الرقاب بها ... من فتك منتقمٍ أو كفٍّ منتهب .
أتوا حماها فلم يمنع وقد وثبوا ... عنها مجانيقهم شيئاً ولم تثب .
يا يوم عكا لقد أنسيت ما سبقت ... به الفتوح وما قد خطّ في الكتب .
لم يبلغ الذُّطق حدّ الشكر منك فما ... عسى يقوم به ذو الشعر والخطب .
كانت تمنّي بك الأيام مبعدةً ... فالحمد □ نلنا ذاك عن كئيب .
أغضبت عبّاد عيسى إذ أبدتهم ... □ أيّ رضىً في ذلك الغضب .
وأطلع □ جيش النصر فابتدرت ... طلائع الفتح بين السُّمر والقضب .
وأشرف المصطفى الهادي البشير على ... ما أسلف الأشرف السلطان من قرب .
فقرّ عيناً بهذا الفتح وابتهجت ... بفتحه الكعبة الغرّاء في الحجب .
وسار في الأرض سير الريح سمعته ... فالبُور في طربٍ والبحر في حرب .
وخاضت البيض في بحر الدماء وما ... أبدت من البيض إلاّ ساق مختضب .
وغاص زرق القنا في زرق أعينهم ... كنها شطنٌ تهوي إلى قلب .
توقّدت وهي غرقى في دمائمهم ... فزادها الطّفح منها شدّة اللهب .
أجرت إلى البحر بحراً من دمائمهم ... فراح كالراح إذ غرقاه كالحبب .
وزاب من حرّها عنهم حديدتهم ... فقيّدتهم به ذعراً يد الرّهب .
تحكّمت وسطت فيهم قواضبها ... قتلاً وعفّات لحاويها عن السّلب .
كم أبرزت بطلاً كالطّود قد بطلت ... حواسّهُ فغدا كالمنزل الخرب .
كأنه وسان الرمح يطلبه ... برجٌ هوى ووراه كوكب الذّنب .
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت ... بك الممالك واستعلت على الرّتب .
ما بعد عكّاً وقد لانت عريكتها ... لديك شيءٌ تلاقيه على تعب .
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها ... مدّت إليك فواصلها بلا نصب .
كم قد دعت وهي في أسر العدى زمناً ... صيد الملوك فلم تسمع ولم تجب .
أتيتها يا صلاح الدين معتقداً ... بأنّ داعي صلاح الدين لن يخب .
أسلت فيها كما سالت دماؤهم ... من قبل إحرارها بحراً من الذهب .

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غصبت ... منه لسرّ طواه ا في اللّـقّب .
وجئتها بجيوش كالسيول على ... أمثالها بين آجامٍ من القضب .
وحطتها بالمجانيق التي وقفت ... إزاء جدرانها في جفـلٍ لـجب .
مرفوعةً نصبوا أضعافها فغدا ... للكسر والحطم منها كلّ منتصب .
ورضتها بنقوبٍ ذلّـلت شمماً ... منها وأبدت محيّاها بلا تعب .
وغذّـت البيض في الأعناق فارتقمت ... أبراجها لعباً منهن باللّـعب .
وخلّـقت بالدم الأسوار فانفغمت ... طيباً ولو لا دماء الخبث لم تطب .
وأبرزت كلّـّ خودٍ كاعبٍ نثرت ... رؤوسهم حين زفوها بلا طربٍ .
باتت وقد جاورتنا ناشزاً وغدت ... طوع الهوى في يدي جيرانها الجنب .
بل أحرزتهم ولكن للسيوف لكي ... لا يلتجى أحدٌ منهم إلى الهرب